

مشروع أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

التخصص: التاريخ القديم

عنوان البحث المقترح:

المعالم الجنائزية والمعتقدات الدينية في الصحراء الكبرى خلال فجر التاريخ: دراسة
مقارنة بين معالم الصحراء الجزائرية ومعالم الصحراء الموريتانية

إعداد الطالب الباحث: أبوبكر الصديق بعتاش

1- مقدمة

تُعد الصحراء الكبرى، التي تمتد كـ"بحر من الرمال" بين ضفتي المحيط الأطلسي والبحر الأحمر، واحدة من أعظم المتاحف الأثرية في الهواء الطلق. فإلى جانب مناظرها الطبيعية القاسية، تخبئ هذه المنطقة ثروة هائلة من المعالم الحجرية التي تشهد على عمق تاريخها الحضاري، خاصة خلال فترة "فجر التاريخ" (Protohistoire) - تلك الفترة الانتقالية الغامضة بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية القديمة و الممتدة تقريبا من الألفية الرابعة قبل الميلاد إلى الألفية الأولى قبل الميلاد ومن بين هذه الشواهد الصامدة، تبرز المعالم الجنائزية والنصب التذكارية كأهم المصادر المادية التي يمكننا من خلالها معرفة المعتقدات الدينية والطقوس الجنائزية للمجموعات البشرية التي سكنت هذه الربوع .

حيث أن هذه العمارة الصامتة لم تكن مجرد مدافن لحفظ الأجساد، بل كانت "فضاءات مقدسة" ومراكز لإعادة إنتاج الفكر العقائدي، وتجسيدا ماديا لمنظومة اجتماعية وسياسية بدأت تتحول تدريجياً من المجتمعات البسيطة إلى المشيخات الرعوية المنظمة (Pastoral Chiefdoms) .

يهدف هذا المشروع إلى تقديم مقارنة تاريخية أنثروبولوجية مقارنة بين أنماط الدفن والمعتقدات الجنائزية في كل من الصحراء الجزائرية والموريتانية، وذلك من أجل إعادة صياغة سيرورة التفاعلات والروابط البشرية التي نشأت و تطورت داخل هذا الامتداد الجغرافي والحضاري المشترك.

2 - الإشكالية والأسئلة الفرعية :

تتمحور الإشكالية الرئيسية لهذا البحث: حول مدى قدرة المعالم الجنائزية وفضاءات المعتقد على عكس وحدة ثقافية وعقائدية كبرى لمجتمعات الصحراء الكبرى خلال فجر التاريخ، في مقابل تجليات الخصوصية المحلية التي فرضتها البيئة المباشرة لكل إقليم (الجزائري والموريتاني).

إشكالية البحث الرئيسية هي:

هل تؤكد المعالم الجنائزية والمعتقدات الدينية في الصحراء الجزائرية والموريتانية خلال فجر التاريخ وجود وحدة ثقافية وعقائدية كبرى لمجتمعات الصحراء، أم أن الخصوصيات البيئية لكل إقليم هي التي رسمت ملامح هذه الممارسات الجنائزية والمعتقدات الدينية بشكل حاسم؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة الوجيهة التالية:

- ما الخصائص الهندسية والمعمارية المميزة للمعالم الجنائزية في كل من الصحراء الجزائرية والموريتانية؟ وكيف يمكن تفسير الدلالات العقائدية الكامنة وراء تنوعها الشكلي، من القبور البسيطة وصولاً إلى المعالم ذات الأجنحة والقنوات المعقدة؟

- كيف يساهم الأثاث الجنائزي المرافق للموتى (أدوات حجرية، حلي معدنية، أوانٍ فخارية، وأصداف بحرية) في فهم البنية الطبقية والتراتبية الاجتماعية ونشوء النخب في تلك المجتمعات؟

- ما هي طبيعة ومسارات التواصل البشري والتبادل الثقافي بين الفضاءين الجزائري والموريتاني؟ وهل كانت الهجرة الرعوية من أسباب نقل الأفكار الدينية والتقنيات المعمارية؟

- كيف شكل الموروث العقائدي والجنائزي لصحراء فجر التاريخ الكيانات السياسية والفكرية للممالك القديمة التي أعقبت هذه الفترة (فجر التاريخ)؟

3. فرضيات البحث :

- إن مجتمعات الصحراء الكبرى خاصة الواقعة غربها (بين الجزائر وموريتانيا) عاشت تحت مظلة كبرى من "الوحدة العقائدية المشتركة" القائمة على عبادة الأسلاف وتقديس القوى الكونية، وهو ما يفسر التشابه في الوضعيات الدفنية والتوجيه الفلكي للمدافن.

- يمكن تفسير التباين في الأنماط المعمارية بين المنطقتين (سيطرة "الشوشات" على المشهد الجنائزي الجزائري مقابل هيمنة "المعالم ذات الأجنحة" في موريتانيا) بالرجوع إلى ثلاث محددات بيئية وسياسية: توفر المواد الإنشائية المحلية، خصوصيات المسالك الطوبوغرافية، والفوارق في مستويات التنظيم السياسي المحلي.

- إرتبط ظهور المقابر الفخمة ذات التصاميم الهندسية الضخمة ببداية استغلال المعادن (في العصر النحاسي والعصر الحديدي)، حيث لم تعد القبور مجرد مدافن، بل تحولت إلى أداة سياسية تستخدم لإظهار ثروة الملوك و القادة ونفوذهم، وكذلك ثقل مكانة الكهنة وسلطتهم الروحية.

- إن التنقلات الرعوية وتجارة الأصناف الأولى ساعدت في حدوث تبادل ثقافي بين جنوب الجزائر والمرتفعات الموريتانية. هذه التبادلات جعلت من تلك المسارات قنوات مهمة للاتصال بين المجموعات البشرية في المنطقتين.

الأهداف:

من بين الأشياء التي سأقوم بها في هذا البحث،

هو أنني سأحاول بناء قاعدة بيانات، هذه القاعدة ستكون خاصة بالمعالم الجنائزية الموجودة في مناطق مختلفة من الصحراء الجزائرية والصحراء الموريتانية. في الجزائر، سأركز على مناطق مثل الهقار والطاسيلي وشمال الصحراء. أما في موريتانيا، فسأشمل مناطق آدرار وتكانت والحوضين والساحل الأطلسي.

- الهدف هو الوصول إلى فهم الجوانب غير المادية لهذه المعالم، أي أنني سأسعى إلى استخراج معلومات عن البنى الاجتماعية (كيف كان الناس ينظمون مجتمعهم) كيف كانوا يفكرون ويعتقدون في فترة فجر التاريخ.

- تحديد طبيعة التأثير الحضاري بين المنطقتين (الجزائر وموريتانيا). بمعنى، هل كان التأثير من الشمال إلى الجنوب؟ أم من الجنوب إلى الشمال؟ أم كان هناك تأثير متبادل بينهما؟

رسم خريطة توضح حركة تنقل المجتمعات الرعوية القديمة، أي المسارات التي كانت تسلكها هذه المجموعات البشرية أثناء تنقلها.

الأهمية:

تكمن أهمية هذه الدراسة إلى:

- أنها ستثري المكتبة التاريخية المغاربية والإفريقية. يعني هذا أنه لا توجد دراسات كافية حول هذا الموضوع بالذات.

- أنها تختلف عن الدراسات السابقة التي كانت تدرس كل بلد بمفرده (مثل دراسة الجزائر وحدها أو موريتانيا وحدها) بمعنى أن هذه الدراسة ستشمل المنطقة ككل متجاوزاً الحدود السياسية الحالية.

- إن هذه الدراسة المقارنة ستجعل جامعة نواكشوط العصرية رائدة في مجال الدراسات المقارنة لمنطقة الصحراء الكبرى و بالأخص منطقة غرب الصحراء.

5 - المنهج :

لتحقيق أهداف الدراسة إعتدنا البحث على ثلاثة مناهج أساسية:

- المنهج الذي استخدمناه هو المنهج التاريخي، سأقوم بقراءة النصوص القديمة (اليونانية والرومانية) قراءة ناقدة، أي لا نصدق كل ما فيها، ثم سنحاول ربط ما في هذه النصوص بما تم اكتشافه من آثار في الأرض، مثل المقابر والأدوات، الهدف هو جعل هذه الآثار الصامتة تخبرنا بقصص عن الماضي.

- أهم منهج هو المنهج المقارن. حيث سنقارن فيه بين المعالم الجنائزية في الجزائر وموريتانيا من حيث: شكلها، الأشياء الموجودة داخلها، اتجاهها الفلكي، والنقوش الصخرية حولها وهدفنا هو معرفة ما هو مشترك بين المنطقتين وما هو مختلف وخاص بكل منطقة.

الخطبة البحثية الأولية

المقدمة

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة

المبحث الأول: تعريف "فجر التاريخ"

المبحث الثاني: الموقع الجغرافي لصحراء الكبرى

المبحث الثالث: المعالم الجنائزية والمعتقدات الدينية

الفصل الثاني: وصف المعالم الجنائزية

المبحث الأول: المعالم الجنائزية في الصحراء الجزائرية

المبحث الثاني: المعالم الجنائزية في الصحراء الموريتانية

المبحث الثالث: مقارنة المعالم الجنائزية في الإقليمين

الفصل الثالث: محتويات القبور والدلالات الاجتماعية والدينية

المبحث الأول: محتويات الموجودة داخل القبور

المبحث الثاني: دلالاتها

المبحث الثالث: وضعيات الدفن واتجاهاتها.

الفصل الرابع: (المعتقدات في الاقليمين)

المبحث الأول: هل هناك ثقافة واحدة أم ثقافات مختلفة؟

المبحث الثاني: أسباب إنتقال الأفكار و المعتقدات بين المنطقتين

المبحث الثالث: تأثير المعالم الجنائزية و نشأة المعتقدات الممالك.

الخاتمة

البيبليوغرافيا

الفهارس

المصادر والمراجع :

أولاً: المصادر الكلاسيكية القديمة

هيرودوت: التاريخ (الكتاب الرابع)، (ترجمة عبد الإله الملاح)، أبو ظبي، 2001. (دراسة قبائل ليبيا وعاداتهم).

سترابون: الجغرافيا (الكتاب 17)، (ترجمة وتحليل أثري)، باريس. (وصف شعوب الجيتول والمور ونمط حياتهم).

Pliny ancien: Naturalis Historia (Books V & VI), Loeb Classical Library,
Harvard University Press.

ثانياً: المراجع العربية :

مصطفى التليلي: المعتقدات الدينية القديمة في شمال إفريقيا والصحراء، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 2015.

مليلة حشيد: الصحراء الكبرى قبل التاريخ، (نسخة معربة ومحقة أثرياً)، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر. 2005 .

محمد الطاهر العدواني التحولات البيئية والبشرية في الصحراء الكبرى خلال فجر التاريخ، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2010 .

ثالثاً: المراجع الأجنبية :

Camps, Gabriel :Aux origines de la Berbérie: Monuments et rites funéraires protohistoriques. Paris, AMG1961.

Les Civilisations protohistoriques de l'Afrique du Nord
et du Sahara. Paris, Doin 1974

Vernet, Robert :La Préhistoire de la Mauritanie. Nouakchott, Centre Culturel Français 1993 .

Monod, Théodore :Contribution à l'étude du Sahara occidental: Gravures, peintures et inscriptions rupestres. Paris, Larose 1932 .

Amblard, Sylvie: Tichitt-Walata (Mauritanie): Civilisation et industrie lithique. Paris, ADPF 1984 .

Milburn, Mark : Multi-attribute analysis of Saharan megalithic monuments. In "Antiquity", Vol. 55, 1981

Lambert, Nicole : Mines et métallurgie antiques dans la région d'Akjoujt (Mauritanie). In "Annales de Bretagne"1975

Paris, François: Les sépultures du Sahara: Évolution d'un espace funéraire. Paris, ORSTOM 1996 .